يقلها ، ونقلوا عنه أقاويل غير صحيحة ، بل نص في كثير منها على نقيضها كالصفات ، وتمسكوا بحرفية النصوص ، وحرصوا على الالتزام بالصورة المبسطة التي كانت في الحجاز ، وسار عليها الصحابة ، وسموا أنفسهم بالسلفية ، وثارت بينهم وبين الأشاعرة وعامة العلماء خلافات ومهاترات كانت تصل أحياناً إلى فتن محلية ، حتى قام المحدث ابن عساكر فرد عليهم ، ودافع عن الإمام أبي الحسن الأشعري في كتابيه «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري» وذكر فيه أقوال الأشعري ، وترجم لمعظم علماء الأشاعرة ، وبين آراءهم وأقوالهم[1] ، وانتهى الصراع الفكري بين الأشاعرة والحنابلة ، واستقرت السيادة للأشاعرة في مختلف البلدان من القرن الخامس حتى القرن الثامن ، فجدده الإمام ابن تيمية وابن القيم لمدة وجيزة ، ثم زال من الحلبة.

وكان الخلاف بين المذهب الأشعري والمذهب الماتريدي محصوراً في مسائل نظرية ، واختلافات منهجية ، ويلتقيان في معظم الآراء التي تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة كما ذكرنا.

واستقر الأمر لدى علماء المسلمين بالوقوف عند أقوال الأشعري يرددونها ويدرسونها ، ويصنفون فيها ، وينسبونها إلى الإسلام مباشرة ، ولم يحرصوا على عدّ أنفسهم منتسبين إلى الأشعري ، مع ما يكنون له ولأتباعه من الاحترام ، ولم يبق الآن في الواقع وأروقة العلم ما يعرف بالمذهب الأشعري.

سابعاً ـ أبرز رجال الأشعرية:

رأينا أن معظم علماء المسلمين ، وأتباع المذاهب الفقهية الأربعة

---

(١) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٢٥ ، تبيين كذب المفتري ص ١٩.

كانوا يلتزمون بالطريقة الأشعرية في الاعتقاد والدعوة والمنهج ، ولكن برز فريق منهم على الساحة العلمية والعملية[1] ، نشير إلى بعضهم :

١ ـ أخذ عن الإمام أبي الحسن الأشعري عدد كبير من التلاميذ والعلماء وتلاميذهم ، منهم أبو إسحاق الإسفراييني وأبو بكر القفال وعبد العزيز بن محمد الطبري ، وابن مجاهد محمد بن أحمد الطائي ، وأبو الحسن الباهلي ، وهذان الأخيران حملوا المذهب الأشعري في القرن الثالث الهجري ، ونشروه ، ونافحوا عنه .

٢ ـ وفي القرن الرابع الهجري استقر المذهب الأشعري ، وصنفت فيه الكتب ، واستوى على سوقه ، وكثر العلماء فيه ، وأشهرهم ثلاثة :

أ ـ الباقلاني ، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (٤٠٣هـ) وكان يلقب بشيخ السنة ، ولسان الأمة ، وكان مالكياً ، ونقح بحوث الأشعري ، وأيد آراءه ، والتزم منهجه ومسلكه ، وتوسع في المقدمات العقلية ، وصنف «التمهيد في الرد على الملاحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة» و«البيان» و«مناقب الأئمة في نقض المطاعن على سلف الأمة» و«الانتصاف» و«كشف الأسرار في الرد على الباطنية» و«الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والديانة» .

ب ـ ابن فورك ، أبو بكر محمد بن الحسن (٤٠٦هـ) الأديب المتكلم الأصولي الشافعي الذي جمع أهل السنة في الري ونيسابور ، وله حوالي مئة مصنف .

جـ ـ الإسفراييني ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (٤١٨هـ) ، الفقيه

---

(١) انظر في طبقات الأشعرية وعلمائهم كتاب: تبيين كذب المفتري ص ١٧٧ وما بعدها ، طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣٦٨ وما بعدها ، مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٥ ، تاريخ التراث العربي ١/٤/٤٧ ، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٢ وما بعدها .

الأصولي المتكلم ، وكانت له مدرسة بنيسابور.

وكان البلاقلاني وابن فورك والإسفراييني متعاصرين من أصحاب الأشعري ، وكان الصاحب بن عباد يقول عنهم: «الباقلاني بحر مغدق ، وابن فورك صك مطرق ، والإسفراييني نار تحرق»[1].

٣ ـ وفي القرن الخامس الهجري اشتهر علماء كثر من أصحاب المذهب الأشعري ، منهم: عبد القاهر بن طاهر البغدادي (٤٢٩هـ) وله كتاب «أصول الدين» و«الفرق بين الفرق» ، ومحمد بن أحمد بن أحمد أبو جعفر السمناني الحنفي ، القاضي البغدادي (٤٤٤هـ) الذي كان حنفي المذهب في الفقه ، ويعتقد في الأصول مذهب الأشعري ، ومنهم أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) الحافظ المحدث الفقيه الأصولي ، ومنهم أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، وأشهر هذه الطبقة اثنان:

أ ـ إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (٤٧٨هـ) ، الفقيه الأصولي المتكلم ، وله في أصول الدين والعقيدة «الشامل في أصول الدين» و«الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» و«لمع الأدلة في قواطع عقائد أهل السنة» ، وكان الجويني معاصراً لإمام أهل السنة والمذهب الأشعري في نيسابور أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (٤٦٥هـ) صاحب «الرسالة القشيرية» والشيخ أبي علي الدقاق.

ب ـ الغزالي ، حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥هـ) الذي خفف من منهج الباقلاني في التعصب للمقدمات العقلية ، ورد على

---

(١) تبيين كذب المفتري ص ٢٤٤.

الفلاسفة ، وله كتاب «تهافت الفلاسفة» و«المنقذ من الضلال» و«إحياء علوم الدين».

وكان في المغرب في القرن الخامس أبو الوليد الباجي ، وابن عبد البر الحافظ ، والقاضي عياض بن محمد اليحصبي وغيرهم.

٤ ـ وظهر في القرن السادس عدد كبير من علماء المذهب الأشعري ، منهم: محمد بن تومرت (٥٢٥هـ) تلميذ الغزالي ، ومؤسس دولة الموحدين ، وأبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المالكي (٥٤٣هـ) الفقيه المفسر ، وله كتاب «العواصم من القواصم» و«التوسط في معرفة صحة الاعتقاد» ومنهم أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٥٤٨هـ) وله كتاب «المصارعة» للرد على ابن سينا في تبني الفلسفة اليونانية ، وكتاب «نهاية الأقدام في علم الكلام» و«الإرشاد إلى عقائد العباد» و«الملل والنحل» ، ومنهم: أبو القاسم علي بن الحسن ، المعروف بابن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ) ، وأشهر علماء القرن السادس فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) المفسر والفقيه والأصولي والمتكلم وصاحب التصانيف المشهورة.

٥ ـ وحمل المذهب الأشعري في القرن السابع كثيرون ، أشهرهم سيف الدين الآمدي (٦٣١هـ) وشيخ الإسلام العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ) ، والشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكي (٦٤١هـ) وشيخ الإسلام عز الدين الحصيري الحنفي من بخارى ، والقاضي البيضاوي (٨٥ ذ٦هـ) وله كتاب «طوالع الأنوار» الذي أشرنا إليه.

٦ ـ ومن أبرز رجال الأشعرية في القرن الثامن شيخ الإسلام ابن دقيق العيد ، وتقي الدين السبكي ، والشيخ صفي الدين الهندي ، والشيخ جمال الدين الزملكاني، وقاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي، والقاضي عضد الدين الإيجي الشيرازي (٧٥٦هـ) وله كتاب «العقائد العضدية»

و«المواقف» ، وكان يعاصرهم السيد الشريف الجرجاني وكان فقيهاً حنفياً ملماً بالعلوم العقلية ، وتأخرت وفاته للقرن التاسع (٨١٦هـ)[١] .

الخاتمة :

ونتيجة لجهود العلماء السابقين فقد استقرت مبادىء المذهب الأشعري في عقيدة المسلمين من أهل السنة والجماعة ، وذابت آراؤهم في كتب التوحيد وعلم الكلام والعقيدة الإسلامية ، ولم يعد العلماء ينتسبون إلى الأشعري ، أو يخصصون مذهبه بكتب وتدريس ، وغابت الخلافات المذهبية في هذا الخصوص ، باستثناء ما يثيره بعض السلفية من أفكار كلامية قديمة ، وخلافات تاريخية ، وألفاظ اصطلاحية .

وهكذا أدت الأشعرية وظيفتها في تثبيت العقيدة الصحيحة عند المسلمين ، وبيان المفهوم الصحيح ، والمعاني المحكمة في المسائل الخلافية ، ووقفت في وجه المنحرفين وأعداء الإسلام ، وفندت حججهم ، وكشفت اللثام عن شبهاتهم ، وحققت الاستقرار العقائدي لدى جماهير المسلمين ، ثم ذابت في كتبهم وتراثهم وحياتهم وأفئدتهم بعد أن أدت المهمة الملقاة على عاتقها في المراحل التاريخية السابقة ، لتبقىٰ عقيدة المسلمين سليمة وصحيحة ، وصافية ونقية ، وبيضاء مشرقة ، مع الشريعة والأحكام ، ومع مصادر الإسلام الأساسية ، وأركانه الرئيسية ، وكل ذلك بحفظ الله تعالى وفضله ، وهو القائل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، نسأل الله تعالى أن يهدينا سواء السبيل ، وأن يحفظ علينا ديننا وعقيدتنا ، وأن يحسن ختامنا بالوفاة على شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) انظر تراجم مختصرة لهؤلاء الأعلام ، مع التعريف بأهم كتبهم في كتاب «مرجع العلوم الإسلامية» .